الثقل هو عين ميزان الخفة كصورة القبان ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيئات بالثقل
ايضا اذا رجحت على الحسنات وما وصفها قط الا بالخفة فعرفنا ان ذلك على شكل القبان و
من الميزان الالهي قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوزنت انا
وابو بكر فرجحت و وزن ابو بكر بالامة فرجحها واعلم ان محصور في علم وعمل والعمل على قسمين
جسمي وقلبي والعلم على قسمين عقلي وشرعي وكل قسم فعلى وزن معلوم عند الله في اعطائه
وطلب من العبد لما كلفه ان يقيم الوزن بالقسط فلا يطغى فيه ولا يخسره فقال تعالى لا تغلوا في دينكم
وهو معنى لا تطغوا في الميزان ولا تقولوا على الله الا الحق وهو قوله واقيموا الوزن بالقسط فطلب العدل
من عباده في معاملاتهم مع كل ما سوى الله من انفسهم وغيرهم فاذا وفق الله العبد لاقامة الوزن
بالقسط فما ابقى له خيرا الا اعطاه اياه فان الله قد جعل الصحة والعافية في اعتدال الطبايع و
ان لا تترجح احداهن على الاخرى وجعل العلل والامراض والموت بترجح بعضهن على بعض فالاعتدال
سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك والفناء وترجيح الميزان في موطنه هو اقامته وخفة الميزان
في موطنه اقامته فهو بحسب المقامات واذا كان الامر على ما قررناه فاعلم ان المحقق هو الذي يقيم
هذا الميزان في كل حضرة من علم وعمل على حسب ما يقتضيه من الرجحان والخفة في الموزون بالفضل
في موضعه والاستحقاق فان النبي عليه السلام ندب في قضاء الدين وقبض الثمن الى الترجيح فقال ارجح
له حين وزن له فما اعطاه خارجا عن استحقاقه بعين الميزان فهو فضل لا يدخل الميزان اذ
الوزن في اصل وضعه انما وضع للعدل لا للترجيح وكل رجحان يدخله فانما هو من باب الفضل وان
الله لم يشرع قط الترجيح في الشر جملة واحدة وانما قال والجروح قصاص وقال وجزاء سيئة سيئة
مثلها ولم يقل ارجح بها وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولم يقل
بارجح فمن عفا واصلح فاجره على الله فرجح في الانعام وما ندب الله عباده لفضيلته ومكارم
خلق الا وكان الجناب الالهي الاعلى احق بذلك وهذا من سبق رحمته غضبه فالنار ينزل
فيها اهلها بالعدل من غير زيادة والجنة ينزل فيها اهلها بالفضل فيرون ما لا تقتضيه اعمالهم
من النعيم ولا يرى اهل النار من العذاب الا قدر اعمالهم من غير زيادة ولا رجحان الى ان يفعل الله بهم
ما يريد بعد ذلك ولذلك قال في عذابهم ان ربك فعال لما يريد وما يعلم احد من خلق الله
حكم ارادة الله في خلقه الا بتعريفه الا تراه في حق السعداء قال عطاء غير مجذوذ والصورة
واحدة ولم يقل في العذاب انه غير مجذوذ لكن نقطع بانهم غير خارجين من النار ولا نعرف
حالتهم فيها في حال الاستثناء ما يفعل الله فيهم فلا نقضي في ذلك بشيء مع علمنا بان رحمته
سبقت غضبه وعلمنا بان الله يجزي كل نفس بما عملت وقد قام الدليل على الفضل في

اهل

اهل السعادة وما جاء مثل ذلك في الاشقياء وهذه مسئلة يقف عندها او يحكم بغلبة الظن لا
بالقطع الا صاحب الكشف فانه يعلم بما علمه الله من ذلك غير ابن قسي وهو من اهل هذا الشان قال لا يحكم
عدله في فضله ولا فضله في عدله وهذا كلام محكم فلا ادري هل قاله عن كشف او عن اعتبار وفكر
وهذا الكلام من وجه بين في قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي ومن وجه لا ينافيه فان الحقائق تعطي
ان الفضل لا يحكم في العدل وان العدل لا يحكم في الفضل فانه ليس كل واحد من الصفتين
محلا لحكم الاخرى فان محل حكم الصفة انما هو في المفضول عليه او المعدول فيه وانما قد
علمنا من الله تعالى ان الله يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشر ولم يقم عليهم
ميزان العدل ولا اخذهم بعدله وانما حكم فيهم بفضله ولا يقال في مثل هذا انه حكم فضله في
عدله وهو الذي يليق بابن قسي رحمه الله قد انبا عن حقيقة كما هو الامر عليه في نفسه واذا كان
الكشف الذي لنا كشف الانبياء كان الرجوع الى كشف الانبياء عليهم السلام وعلمنا ان صاحب
ذلك الكشف قد طرا عليه خلل بكونه زاد على كشفه نوعا من التاويل بفكره فلم يقف مع كشفه
كصاحب الرؤيا فان كشفه صحيح واخبر عما راى ويقع الخطا في التعبير لا في نفس ما راى فالكشف
لا يخطئ ابدا والمتكلم في مدلوله يخطئ ويصيب الا ان يخبر عن الله في ذلك واما ميزان العلم العقلي
فهو على قسمين قسم يدركه العقل بفكره وهو المسمى بالمنطق في المعاني وبالنحو في الالفاظ
وهذا الميزان هو طريق اهل هذا الشان اعني علم ما اصطلحوا عليه من الالفاظ المؤدية الى العلم
به من البرهان الوجودي والجدلي والخطابي والكلية والجزئية والموجبة والسالبة والشرطية
وغير الشرطية وان اجتمعنا معهم في المعاني ولا بد من الاجتماع فيها ولكن لا يلزم من الاجتماع في
المعنى ان لا يكون ذلك الا من طريق هذه الالفاظ وكذلك لا يلزمنا معرفة المبتدا والابتداء
والفاعل والمفعول والمضاف والمجرور والمصدر والاضافة واسم كان واسم ان والاعراب والبناء
وان علمنا المعاني ولكن لا يلزم ان نعرف هذه الالفاظ وصاحب الكشف على بصيرة من ربه فيما
يدعو اليه خلقه ولكن للعقل قبول كما له فكر وكذلك القبول في الكشف ميزان قد عرفه
فيقيمه في كل معلوم يستقل العقل بادراكه لكن لا يعلمه هذا الولي من طريق الفكر وميزان
المنطق فالذي يدخل في طريقنا من ميزان العلم العقلي هو اذا ورد العلم الذي يحصل عقيب
التقوى من قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فالعارف عند ذلك ينظر بعقله في تقواه في العمل الذي
كان عليه فانه ميزان المناسبات فاذا راى المناسبة محققة بين العلم المفتوح عليه به
وبين ذلك العمل وراى ان ذلك العمل يطلبه فذلك العلم مكتسب له بعمله فاذا راه خارجا
عن الميزان وترتفع المناسبة ويكون ما زاد من جنس ما حصل ولكن لا تقتضيه قوة عمله لضعف

Copyright © King Saud University